ابن خلدون وفكره التربوي

د . فرات أمين مجيد
جامعة ديالى
مركز أبحاث الطفولة والأمومة

الملخص

يتميز كل عصر بفكره وفلسفه حياته ، والمسلمون الأوائل خلفوا تراثاً فكرياً وتربوياً ينبغي أن نعتز به ، لأنه يعكس صورة الماضي ، وبالتالي يضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل ، بقدر رجوعنا إليه واستشهادنا به ، وأن نأخذ منه ما يتفق مع ظروفنا الراهنة وقضايانا المعاصرة فإننا للأسف لا نعرف إلا القليل من تراثنا عن جهل ، أو تقليد للتربية الغربية (١) .

لذا وجب علينا ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين أن نعود إلى فكرنا وتراثنا العربي الإسلامي ، وأن نستفيد منه لأن العمل للحاضر والمستقبل لا يتم إلا بالرجوع إلى الماضي وذلك " لأن حاضرنا لا يستغني عن ماضينا ، وعن الفحص الدقيق لأرضه التي يقوم عليها البناء الجديد " (٢).

ولما كان الفكر التربوي في الإسلام يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فقد كانت أول مدرسة شهدها الإسلام هي دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة ، ثم كان

مسجده في المدينة هو الثاني [٣] . وبمرور الأيام وتغيرات المجتمع الإسلامي ظهر الفقهاء والعلماء والأدباء والفلاسفة وظهر معهم فكر تربوي إسلامي أساسه القرآن الكريم والسنة .

ومن هؤلاء ابن خلدون والذي عُرف على أنه عالم اجتماع ولكن له آراء تربوية ذكرها في كتابه المقدمة ، وسوف يسعى هذا البحث للوقوف على هذه الآراء وربطها مع الحياة المعاصرة .

فالتربية الإسلامية هي النابعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وفي الوقت الحاضر ينادي علماء التربية المسلمين بإتباع أقوال علماء الغرب من غير المسلمين، ومع أن بعض آرائهم جيدة ، إلا أن الكثير منها يخالف الإسلام ، لذا وجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة وإلى تراث علماء الإسلام للاستفادة منه في حل قضايانا المعاصرة ، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال التالي : ما هي الآراء التربوية لابن خلدون ؟

وتبرز أهمية البحث في أنه يسعى إلى التعرف على الآراء التربوية لابن خلدون، وأثر هذه الآراء في الوقت الحاضر، وهل هذه الآراء تستجيب لحاجات المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر .

المقدمة

منذ أن وجد الإنسان على الأرض عرف التربية ، ورغم اختلاف أساليب معرفته وتنوع طرائقها على مر العصور وعبر الأجيال ، فقد عرفها بأبسط صورها وهو يعيش في الأدغال والكهوف والوديان وكان دائم التفاعل مع الكون بما فيه حتى يتمكن من الحياة والاستمرار فيها . وكانت تربية الإنسان حينذاك تربية مباشرة يمارسها الفتى عن طريق محاكاة والدة ، والفتاة عن طريق تقليد والدتها في إدارة أمور المنزل وأداء الأعمال اليومية ، وكانت العلاقات الاجتماعية بسيطة أسلوبها التعامل المباشر ، ولما توالت الأيام وكثر الناس وتعددت احتياجاتهم شرعوا إلى بناء المنازل وأقاموا المدن وبنو الحضارات بما اهتدوا إليه من علم وفكر وفن ، يعلمونه لأبنائهم وهؤلاء بدورهم يضيفون إليه بما ابتكروه ومع الأيام تطورت الحياة وتباينت نظمها واختلفت طرقها في تشكيل شخصية الفرد وتكوين اتجاهاته وقيمه .

ولما كان الإنسان هو الكائن الذكي والواعي والمفكر والمتطور والمتجدد وهو بالتالي دائم التغيير هدفه أن يعيش حياة أفضل . وهذه هي حركة التربية في مجتمعات البشر منذ القدم .

تعريفات مصطلحات البحث :

١-**التربيــة** : تعرّف التربيـة بأنهـا " تنميـة الوظـائف الجسـمية والعقليـة والخلقية حتى تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف " [٤] ويقصد بها عند علماء التربية نمو الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة ، ويقصد بالنمو اكتساب خبرات جديدة متصلة ومرتبطة ارتباطاً معيناً لتكون نمطاً خاصاً بشخصية الفرد وتوجهه إلى المزيد من النمو ليتحقق بذلك أفضل توافق بين الفرد وبيئته [٥] .

٢-**التربية الإسلامية** : تعرّف بأنها " المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام " [٦] .

ويمكن تعريفها من خلال الربط بين مفهوم التربية ومفهوم الإسلام بأنها " إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه من وجهة نظر الإسلام " [٧] .

٣-**الفكر التربوي** : ويقصد به الآراء والتصورات والمبادئ التي قدمها علماء التربية أو النظرية التربوية كما يتصورها علماء التربية [٨] . فالفكر التربوي هو " ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعليم الإنساني ، وتنمية الشخصية وشحذ قدرتها ويتضمن النظريات والمفاهيم والقيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان " [٩] .

٤-**الفكر التربوي الإسلامي** : وهو عبارة عن مجموعة الآراء والأفكار والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء والفلاسفة والعلماء المسلمين وتتصل اتصالاً مباشراً بالقضاء والمشكلات التربوية [١٠] .

ابن خلدون :

هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ، من ولد وائل بن حجر ، الفيلسوف العالم الاجتماعي ، أصله من إشبيلية ، ومولده ونشأته بتونس ، اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، في سبعة مجلدات ، أولها المقدمة وهي تعد من أصول علم الاجتماع ، وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية وغيرها [١١] ، وكانت ولادته في تونس غُرة رمضان ٧٣٢هـ الموافق ٢٧ مايو ١٣٣٢م [١٢] ، وتوفي في ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨ هـ الموافق ١٦ مارس ١٤٠٦م وسنه ٧٦ سنة ، ودفن خارج باب النصر بمقبرة الصوفية في القاهرة [١٣] .

أهداف التربية عند ابن خلدون :

يرى ابن خلدون أن للتربية أهدافاً هي :

١-إعطاء الفرصة للفكر لكي ينشط .

٢-إعطاء الإنسان الفرصة لكي يحيى حياة طيبة في مجتمع راق متحضر.

٣-إعطاء الإنسان الفرصة لكسب الرزق وتنمية الخصال الحميدة فيه ويعتبر أن الأساس في التعلّم القرآن الكريم [١٤] . وقد ذكر علي وآخرون [١٥] أن ابن خلدون قسم العلوم إلى قسمين :

الأول : العلوم النقلية : وهي العلوم التي ينقلها الإنسان عمن وضعها، وكلها مستندة إلى الخبر من مصدره الشرعي ولا مجال للعقل فيها ، إلا إلحاق الفروع بالأصول ، ومن هذه العلوم ، علم التفسير ، علم القراءات ، علوم الحديث ، علم أصول الفقه ، علم التوحيد ، علم البيان ، علم الأدب .

الثاني : العلوم العقلية ، وهي التي يهتدي إليها الإنسان بعقله وهي تشمل علم المنطق والعلم الطبيعي ، والعلم الإلهي (ما وراء الطبيعة) وعلم النظر في المقادير (الرياضيات والفلك والهندسة) .

وقد رتب ابن خلدون العلوم بحسب أهميتها للمتعلم على النحو التالي :

١-العلوم الدينية وهي العلوم المقصودة بالذات مثل القرآن الكريم والحديث الشريف .

٢-العلوم العقلية وهذه أيضاً علوم مقصودة مثل العلم الطبيعي .

٣-العلوم الآلية المساعدة للعلوم الشرعية مثل اللغة والنحو والبلاغة .

٤-العلوم الآلية المساعدة للعلوم العقلية مثل علم المنطق (١٦) .

الفكر التربويلابن خلدون

لا ريب أن ابن خلدون يحتل مكانة متميزة في تراثنا العربي والإسلامي،وحتى في الفكر الغربي المعاصر ،وينظر إليه على أنه صاحب مشروع ورؤية حضارية خاصة،ولاسيما فيما يتعلق بدراسة التاريخ البشري، والمجتمع الإنساني، والعمران الحضاري، أضف إلى ذلك عبقرية ابن خلدون في الفكر الاقتصادي والتربوي والسياسي وغيرها من الحقول المعرفية،ويشار إليه صاحب منهجية في النظر والتفكير والبحث والتفسير ،مثلث في زمانه قفزة لإبداعية متميزة ووصفت بعض إنجازاته على الأقل بأنها غير مسبوقة، باعتباره مؤسسها، وأنها لم تكن معروفة قبله،فهو لم يكن غريبا عن مختلف ميادين المعرفة العلمية،بل كان ذا ثقافة موسوعية،لديه إحاطة بالعديد من العلوم،وإلماماً واسعاً بالعلوم الأخرى،فعلى الرغم من تخصصه بدراسة الظواهر الاجتماعية، وتوصله إلى أنها محكومة بالقوانين والسنن نفسها التي تحكم سلوك الظواهر الطبيعية، وإقامته لعلاقة قوية بين البيئة

الطبيعية(الجغرافية)، والسلوك البشري والاجتماعي والنفسي،وكذا دراسته للعلوم الإسلامية النقلية-حيث تشهد إسهاماته بتبحره في علوم القرآن والسنة والفقه،حتى عد مؤهلاً لتولي منصب قاضي قضاة المالكية بمصر،وشهرته عند عامة الناس بأنه صاحب الفضل في إرساء قواعد فلسفة التاريخ وصار يذكر في الكتب الحديثة بأنه منشئ علم الاجتماع العمراني،وهذا اعتراف بجزء مما أبدعه الرجل:"فابن خلدون": "يجهل قدره كثير من الناس،بل إنهم يعرفونه على أنه عالم اجتماع ليس إلا.

ولكن هناك من اللسانيين من يجد في المقدمة مخزونا من الاستطرادات الثرية التي تدل على جملة من الأفكار اللسانية التربوية التي لاتقل أهمية عما توصل إليه البحث اللساني واللساني التطبيقي عند الغربيين" [١٧] لم يغفل الرجل عن تقديم شتى الأفكار التربوية لرجال التربية والتعليم في عصره، وهي جديرة بالأخذ في عصرنا؛لأنها لاتقل أهمية عما يذهب إليه علم اللسان التربوي الحديث.وهذا بعد نقده اللاذع للطرائق التعليمية التي كانت سائدة في عصره، وكيفية تأدية المعلمين لها:"وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا،يجهلون طرق التعليم وإفاداته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه

في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فيمبادئها" (١٨)

لقد تناول ابن خلدون في مقدمته عديد من العلوم التي صنفها تصنيفات كثيرة،وكان لعلوم اللسان النصيب الأوفر والجزء الأهم، حيث بنى اللسان العربي على أربعة أركان ورتبها مراتب متفاوتة ومختلفة،بحسب المقاصد التي يقصدها المتكلم: "(١٩)...وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة..." .. جاعلاً النحو أولها،فهو الذي له حق التقدم على هذه العلوم المذكورة، إذ هوالموصل إلى صواب النطق،المقيم لزيغ اللسان،المؤدي إلى محمود الإفصاح،يستعان به في فهم سائر العلوم،وكان لذلك في نفسه أغراض:" والذي يتحصل أن المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول،والمبتدأ من الخبر ،ولولاه لجهل أصل الإفادة" (٢٠).

كما حرص المصلح الاجتماعي والتربوي على تحديد منهج خاص بالتربية،ذلك المنهج الذي لا تختلف أسسه ومبادئه عما يدعو إليه علم اللسان التربوي الحديث،بل يتميز عن المناهج الجديدة ببساطته وتدرجه في المعرفة واستناده إلى الحفظ والذكر ،وتمسكه ببساطة المعلم، وبنظام صارم للثواب والعقاب.

وتظهر معالم منهجه التربوي في الطريقة الناجعة التي رسمها في تعليم الناشئة،وفي تحديده للآداب والشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم،فقد أكد صراحة أن عملية التعلم والتعليم طبيعية في العمران البشري، فالإنسان متميز عن سائر خلق الله بالفكر الذي يهتدي به، فهو تواق إلى تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فينشأ عن ذلك موقف تعلمي. وتقوم عملية التعلم عادة على ثلاثة أعمدة، وهي المعلم والمتعلم والطريقة. وتتحقق الأهداف التربوية والتعليمية بمقدار ما يتوفر لهذا الموقف التعليمي من شروط [٢١]. ذلك أن التعلم عموما هو"اكتساب العلوم واجتلابها إلى القلب" [٢٢]. قال ابن خلدون:"اعلم أن العلوم البشرية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها التصور للحقائق أولاً،ثم بإثبات العوارض الذاتية لها أو نفيها عنهاثانيا..." [٢٣].

ومن الصعب الفصل في أي علم بين المنهج والموضوع، فبدون منهج تصبح كل دراسة علمية لأي موضوع [٢٤]. أو ظاهرة مستحيلة، فلايمكن تطبيق أي منهج، دون توفر موضوع.

وفي ضوء هذا أورد ابن خلدون في أثناء تحديده للمنهج التربوي السليم شروطا،دينية، ودنيوية،ينبغي على المعلم

والمتعلم التحلي بها،حتى تكون عملية التعليم ناجحة، ومثمرة،فمن البديهي أن الإنسان لا يتعلم أية خبرة أو مهارة فكرية إلا إذا كان حاصلا على الشروط اللازمة للقيام بمثل هذه العملية،وتنحصر هذه الشروط في هذه المبادئ:

أولا: شروط المعلم(المربي):

١- **الإحاطة بمبادئ التعليم وعدم الشدة على المتعلمين:** يعد المعلم العنصر الأساس في العملية التربوية،فهو المتصرف في قلوب البشر،وهو أيضا بمثابة الطبيب المعالج للنفس من مرضها وجهلها بالعلوم، بل إن مهمته أخطر فيما يرى "الغزالي أبو حامد" من مهمة الطبيب؛لأن الأول متصرف في العقول والقلوب في حين أن الثاني متصرف في الأبدان، وشتان مابين النفس والبدن، فمهمته إذن شريفة،إلى الحد الذي تجعله وريثا للأنبياء، ومن تصدر لهذه المهمة فقد تقلد أمرا عظيما يفرض عليه آداب وشروطا،كأن يكون المربي قادرا على التعليم،وذا كفاءة، غير مستبد، ولا يكون قاسيا غليظا مع المتعلم؛ لكي لا يجره إلى الكذب:"وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الممالك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على

الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة..." [٢٥].

وأن يكون ذا ثقافة عامة تمكنه من إفادة المتعلمين إفادة متنوعة،توسع في الوقت نفسه من أفقه المعرفي وتحفظه من بلبلة أفكارهم بالمعلومات الخاطئة أو المعارضة أو من مغبة التعصب الأعمى ضد العلوم التي لم يعرفها عن قرب أو بعد،فالناس أعداء لما يجهلون كما يقال، وأن يلم بطرائق التعليم ومبادئه ومهاراته،متوقفا عند مسائله،مستنبطا فروعه من أصوله، حتى يكون التعليم مزدهرا ومحققا لأهدافه: "إن فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد مشترك بين من شدا إلى ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يعرف علماً..." [٢٦]، باعتبار التعلم صناعة شأنها شأن باقي الصناعات الأخرى كما ورد على لسان ابن خلدون،فنجاحها وفشلها يرتبطان بالقائمين عليها،والمعلمون هم سند هذه الصناعة، وهذا المبدأ يمثل اليوم إحدى الاهتمامات الرئيسة للمشرفين على قطاع التربية والتعليم،حيث سنت الوزارة برامج تخص تكوين المكونين،وأحدثت المراكز والهيئات لاستقبال رجال التربية والتعليم؛ وهذا كله بهدف توسيع وتجديد معلومات المربين،وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا في العملية التعليمية.

٢- الإيجاز المفيد في تقديم المسائل العلمية وحسن الانتقاء:

دعا ابن خلدون المربين إلى عدم الاستكثارمن العلوم الآلية التي لا ينبغي أن توسع فيها الأنظار ولاتوسع فيها المسائل، منها على سبيل المثال لا الحصر علم النحو،وبرر ذلك بأن التعمق والاستكثار من مسائله المقفلة سيخرجها عن المقصود، ويصير الاشتغال بها لغواً ،خاصة ونحن نعلم أن النحو العربي أنحاء ومدارس مختلفة،وأن الهدف الأسمى منه هو معرفة صواب الكلام من أخطائه،وإصلاح الألسنة من اللحن أو اللكنة كما قالالشاعر [٢٧]:

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها نفعاً مقيم الألسن

وهو في هذا المذهب ينحو نحو الجاحظ "ت ٢٥٥هـ"الذي دعا إلى ضرورة تعليم النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات،والتمييز بين النحو كعلم والنحو كتعليم، تضمن ذلك قوله: "وأما النحو فلا تشغل قلبه(قلب الصبي) منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه،وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به..." [٢٨]

وعليه فإن الاشتغال والإكثار من المسائل، يصير في رأيه من باب اللغو،جاء ذلك في قوله:"... وهذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو... لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلا واستدلالاً،وأكثروا من الفروع والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة لذاتها.وربما يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لاحاجة بها في العلوم المقصودة بالذات فتكون لأجل ذلك من نوع اللغو،وهي مضرة أيضا بالمتعلمين على الإطلاق" (٢٩).

كما نبه ابن خلدون أيضا إلى أن الاختصار المخل سيحدث لا محالة ضررا في إيصال المعاني،والإكثار منها في العلوم يخل بالتعليم: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم..." (٣٠).

والرأي أن هذه الأفكار التربوية التي أقرها ابن خلدون في القرن الثامن الهجري قد أكدتها اللسانيات التربوية الحديثة.

٣- المتابعة والاستمرار في تلقين العلم وعدم الخلط بين الفنون:

ألح ابن خلدون على عدم الانتقال من مسألة علمية إلى مسألة أخرى قبل فهمالمتعلم للمسألة الأولى، ولذا يجب عليه الاستمرار في تلقين المسألة الواحدة إلى أن ينتهي منها، ويتحقق أن المتعلم قد استوعبها، وحذر من انقطاع المجالس والتفريق فيما بينها؛لأن ذلك يؤدي إلى النسيان أولا،ويؤول إلى عدم تعلق المسائل بعضها ببعض ثانيا، جاء ذلك في قوله: "وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض..." (٣١).

كما نبه إلى عدم الخلط بين المسائل،في قوله: "... ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا،فإنها حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما،لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما..." (٣٢).

وهو بهذا يؤكد على الجانب المنهجي في طريقة التلقين، بعدم الخلط بين علمين؛لأن ذلك من شأنه يؤدي إلى خيبة الأمل لدى المتعلم،حيث يصرف باله،ويضعف ملكته في النفس أو يؤخرها على الأقل؛ لانصراف الذهن ،مما ينبغي الاهتمام بمسائل العلم المولدة للملكة العلمية (٣٣). وعدم الخلط بينها.

٤- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

ينبه ابن خلدون من خلال آرائه التربوية إلى الإقرار بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فالعوامل النفسية والجسمية والبيئية تؤدي دوراً أساسياً في تحديد حجم التعلم،بحيث يتفاوت ذلك الحجم بين فرد وآخر،فالأفراد يختلفون في درجة الذكاء وفي قدرة الاستيعاب: "... وهوكما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه..." (٣٤).

ومراعاة هذا المبدأ أكده العلم اللساني الحديث؛ ذلك أن الأنام لا يتكلمون على منوال واحد، بل تجدهم،حتى في حالة انتمائهم إلى المحيط الاجتماعي نفسه،يختلفون في سرعة السرد،ويتفاوتون في رصيدهم من المفردات (٣٥) ويتمايزون من حيث الصوت، ومن جملة تلك الفروق، ما يلاحظ لدى الناس من أن لكل واحد منهم أسلوبا ينفرد به في الإنشاء الأدبي،وفي سرعة تحصيل العلم والمعرفة.ومن هنا طولب القائمون على عملية التعلم ابتداء من الأنبياء إلى الأساتذة والمربين بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم.

الحث على الممارسة والتحلي بالتدرج والتكرار في عرض المادة:

يرى ابن خلدون أن الطريقة الناجعة في تلقين العلوم إنما يكون:" مفيدا إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم..." (٣٦). فيجب على المعلم أن يذكر للمتعلم إلا ما يستطيع تحمله،مراعياً قدراته واستعداداته على تلقي تلك المادة العلمية، وأن يبتعد عن التعقيد ويتقيد بالتدرج في عرض أية مسألة علمية، باعتبار التدرج أحد المبادئ المساهمة في نجاح العملية التعليمية، ويكون ذلك ببدء المعلم بالشيء الواضح من العلم قبل الغامض، وبالبسيط قبل المعقد،وبالجزء قبل الكل، وبالعملي قبل النظري،وبالمحسوس قبل المجرد،فلا يبدأ بالعويص من المسائل فيغرق في أمور لا يحتملها، فيؤدي به إلى الفشل، كما ينبغي على المعلم الاستيفاء بالشرح والبيان،ولا يترك عويصا ولامبهما ولا مغلقا إلا وضحه،وهذا في رأي " العلامة ابن خلدون" وجه التعليم المفيد والصحيح، ولن يكون مثمرا إلا من خلال التكرار:"...وهوكما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك..." (٣٧). فالتكرار إذن مبدأ ضروري لتكوين الملكة؛ لكونه عاملا أساسياً

لتحقيق عملية التعلم ،ذلك أن الملكة لاتحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواصه تركيبه،فهذا التحديد للملكة اللسانية من قبل ابن خلدون نراه صالحا لأن يكون المقابل العربي لمفهوم الكفاية عند نوام تشو مسكي، وكثرة التكرار تؤدي إلى الحفظ الذي يزيد صاحب الملكة رسوخا وقوة، ولا يحصل ذلك إلا بعد فهم كلام العرب. ولعل هذا ما تقره اللسانيات التربوية الحديثة،حيث يعمل المربون حديثا بهذه المبادئ–التدرج ،والتكرار والحث على الممارسة– في تلقين العلوم.

ثانيا : شروط المتعلم:

١– **الإصغاء(السمع)**:إن المتعلم مطالب في بداية تعليمه بالإصغاءلمعلمه واستيعاب العلوم المختلفة عنه قبل أن يتطرق للاختلافات من المذاهب، ذلك أن السمع أو الإنصات هو أبو الملكات اللسانية في نظر" ابن خلدون"،فالشيء الذي يعين المتعلم على فتق لسانه بالمحاورة والكلام والمناظرة، هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، إذ يسمع ثم يقلد أو يردد ما يسمعه،وهذا ما طرقه" ابن خلدون" في معرض تفسيره لقول العامة أن اللغة للعرب بالطبع،حيث يقول:"فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن

مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها...ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم،واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم" (٣٨). فالتعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده "لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب أساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه." (٣٩).

وقد أكد علم اللسان التربوي الحديث على ضرورة الاهتمام بملكة السمع باعتبارها الحاسة الأولى المساهمة في عملية التعلم،وهو من المبادئ اللسانية التربوية التي أقرها،ويسمى عند جمهور اللسانيين التطبيقيين"الحمام اللغوي أو الانغماس اللغويbainlinguistique(٤٠)وهي تأتي في المرتبة الأولى؛ذلك أن الإنسان يسمع قبل أن يتكلم.

وهذه الملكة تحصل في رأي ابن خلدون:"... بممارسة كلام العرب وتركه على السمع والتقطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك..." (٤١).

والظاهر لنا جلياً أن الرجل قد أعطى السمع الأولوية في امتلاك ناصية العلم،معتبرا إياه أباً لجميع الملكات؛ذلك:"إن الطبيعة وهبت الإنسان لساناً واحداً،ولكنها وهبته أذنين...والحكمة في ذلك هي أن يسمع ضعف ما يتكلم"

(٤٢)ونجد "ل.بلومفيلد" يشارك ابن خلدون في إعطاء ملكة السمع درجة من الأهمية، حيث استغل المنهجية السمعية الشفهية في تحليله التوزيعي للغة وفق المحورين الصرفي والتركيبي، إذ من خصائص هذه المنهجية (٤٣):

١. الاهتمام بالمنطوق والمسموع قبل المقروء والمكتوب ومن ثمة العمل على تنمية اللغة الشفهية .

٢. تقديم اللغة المراد تعليمها في شكل حوار يسجل على أشرطة مغناطيسية تتحول بعد ذلك إلى مخابر اللغات.

٣. الاعتماد على التكرار الشفهي المكثف من أجل ترسيخ الجمل المثالية .

٤. التكثيف من المحاكاة والحفظ ثم استعمال التمارين البنيوية.

٢- **الاستعداد** :على المتعلم الاستعداد للتعلم والتفرغ للعلم،والابتعاد عن إغراءات الدنيا

وشهواتها: "فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاًقليلاً..." (٤٤). ولن يتأتى ذلك إلا بإقامة علاقة عاطفية بين المعلم والمتعلم، والتدرج بالمتعلم مع تشويقه للمادة المراد تلقينها، وهذا بعد دراسة نفسيته واستعداداته العقلية:" واعلم أيها المتعلم أني أتحفك بفائدة في

تعلمك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ....ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده من خطئه..." (٤٥)

ودعا ابن خلدون المتعلم إلى ضرورة التحلي بالمنطق والاستمطار برحمة الله متى أقفلت وأعوز عليه فهم المسائل ، فالعلم من عند الله (٤٦).

ويعد قانون الاستعداد من المبادئ التي اعتمدها العالم "ثورندايك"في نظريته التعليمية،والهدف من ورائه هو توضيح معنى الارتياح والانزعاج،ورأى أنه مفيد بالنسبة للتعلم الإنساني بصورة خاصة. (٤٧)

٣- مرافقة وملازمة شيوخ العلم والرحلة في طلب العلم:

إن ترسيخ ملكة العلم يكون بملازمة رجال العلم،ذلك أن طرائق شيوخ العلم متعددة،فلكل طريقته الخاصة في تلقين العلوم،وعلى المتعلم الذي يريد الاستزادة من العلم وتقوية ملكته ملازمة الشيوخ،والرحلة إن اقتضى الأمر للقاء بشيوخ العلم:"فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم...

فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته..." (٤٨).

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم صراحة في معنى قوله،أنه من سلكطريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رهناًلطالب العلم.

الخاتمة

صفوة القول إن العلامة"ابن خلدون" يعد بحق موسوعة علمية،تناولت شتى حقول المعرفة العلمية،فأفكاره التربوية لاتقل أهمية عما تذهب إليه اللسانيات التربوية الحديثة،بل يمكننا القول أن له فضل السبق إلى كثير منها ،وبخاصة ما تعلق بطريقة التدريس،والتي نبه فيها المعلم إلى ضرورة توخي التدرج والتكرار في عرض المادة العلمية،والتحلي بمبدأ التشويق ،مع مراعاة استعدادات المتعلمين،والأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين في أثناء تلقين العلوم،أضف إلى ذلك تمييزه الصريح بين اللغة كملكة، واللغة كصناعة؛أي بين نوعين من المعلومات – المعلومات الخاصة بالملكة والمعلومات الخاصة بالصناعة–،"فالنوع الأخير هو

اللغة كنظام وعلم مجرد وقوانين .ويمثل هذا النوع جانب البحث .أما النوع الثاني فهو اللغة كإنجاز أو تحقيق فعلي في صورة كلام أو كتابة ويمثل هذا النوع جانب الاستعمال "[٤٩]ومن ثم يمكننا وصفه بالباحث اللساني السابق لعصره،فقد تنبه إلى عديد من الأفكار اللسانية التربوية التي يدعو إليها علم اللسان التربوي الحديث،وبخاصة ما تعلق بالشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم .فالسمع عنده "أبو الملكات"؛إذ الملكة اللسانية عنده تعني المعرفة التي يكتسبها متكلم اللغة السليقي عن لغته كلاماً وفهماً،ولاتحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه،فالإنسان يسمع قبل أن يتكلم وهذا ما تدعو إليه مختلف الطرائق المنتهجة حديثاً في تعليم العلوم.

لم يكن فضل المقدمة"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"على العلوم فحسب،بل كان فضلها عظيما على الآداب،فكما أفادت العلوم بموضوعاتها،ومادتها؛لأنها أسست علما جديدا هو علم الاجتماع،فقد أفادت الآداب بشكلها وصياغتها وأحدث أسلوباً عربياً قديماً،فقد تحدث عن الموشح، والأزجال، والبلاغة،وانقسام الكلام إلى فني النظم والنثر،وفي صناعة الشعر ووجه تعليمه .

إن ابن خلدون غلبت عليه سمة المصلح الاجتماعي الذي يضحي بقوته كلها وإمكاناته في سبيل تقدم الفرد والمجتمع على السواء؛لذلك كان في أقواله وأعماله مرآتا تعكس أو ضاع المجتمع وحاجياته،فهو يقوم أولا بتشخيص أمراض مجتمعه وعلله وأسقامه،ثم يشرع في الدعوة إلى الإصلاح ،بتقديم شتى الأساليب والحلول التي تستند إلى رجاحة العقل والتفكير،ولعل هذا إن دل على شيء، إنما يدل على أصالة فكره وقدرته الإبداعية في صياغة فكر إنساني أصيل ،أسهم مساهمة فعالة في المعرفة الإنسانية.

الهوامش

١. عبود ، عبدالغني (١٩٧٧) ، في التربية الإسلامية ، ص ١٤٨

٢. عبدالرحمن ، عائشة (١٩٧٠) ، تراثنا بين ماضي وحاضر ، ص ١٣٨

٣. عبود ، عبدالغني (١٩٧٨) ، دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، ص ٢٠٠

٤. عاقل ، فاخر (١٩٨٣) ، قاموس التربية ، ص ٢٧

٥. النجيحي ، محمد (١٩٦٧) ، مقدمة في فلسفة التربية ، ص ١١٧

٦. علي ، سعيد (١٩٧٨) ، أصول التربية الإسلامية ، ص ٦

٧. أبو لاوي ، أمين (١٩٩٩) ، أصول التربية الإسلامية ، ص ١٨
٨. مرسي ، محمد ، (د. ت) ، تاريخ التربية بين الشرق والغرب ، ص ٦
٩. زياد ، مصطفى (٢٠٠) ، الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره ، ص ٢٤
١٠. الخطيب ، محمد وأخرون (١٩٩٥) ، أصول التربية الإسلامية ، ص ٤٤
١١. الخطيب ، محمد وأخرون (١٩٩٥) ، أصول التربية الإسلامية ، ص ٤٤
١٢. الزركلي ، خير الدين ، د . ت ، الأعلام الجزء الرابع ، ص ١٠٦
١٣. عنان ، محمد (١٩٣٣) ، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، ص ١٢
١٤. الإبراشي ، محمد (١٣٩٥) ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ص ٢٧٣
١٥. علي ، سعيد ومحمد الحامد وعبد الراضي محمد ، ٢٠٠٤ ، التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات ، ص ٢١١
١٦. خضر، فخري (١٩٨٢) ، تطور الفكر التربوي ، ص ص١٥٨-١٥٩

١٧. المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ص٢٠٨ ، ٢٣٧

١٨. ابن خلدون، المقدمة، ج ١، دار الجيل، بيروت، ص ٥٨٩

١٩. ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٤٢

٢٠. ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٤٢

٢١. عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، ص ٧٩

٢٢. أبوحامد الغزالي،الإحياء طبعة عيسى البابي الحلبي، ص٢١

٢٣. ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٢٨

٢٤. جمانة البخاري، التعلم عند الغزالي، ص ١٥٥

٢٥. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٩٧

٢٦. ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٢٨

٢٧. نقلا عن السيد أحمد الهاشمي،القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج"الألفية"لابن مالك وخلاصة الشراح لابن هشام وابن عقيل الأشموني، ص ٤ .

٢٨. الجاحظ، رسائله، تحقيق عبد السلام هارون، ص ٣٨

٢٩. ابن خلدون، المقدمة، ص ٧٠٠

٣٠. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٨٨

٣١. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٨٩

٣٢. ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٢٣

٣٣. محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ص ٢٨٠

٣٤. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٨٩

٣٥. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص ٢٢٥

٣٦. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٨٩

٣٧. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٨٩

٣٨. ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٧٢٣.

٣٩. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٩٤

٤٠. ترجم عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح "Bain linguistique" بـ"الانغماس اللغوي"وهو مصطلح عربي أصيل- ينظر بشير ابرير،الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة،الملتقى الوطني الثاني"الصوتيات بين التراث والحداثة،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سعد دحلب، البليدة، نيسان ٢٠٠٢، ص ٣٨.

٤١. ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٥٥

٤٢. نقلاً عن حنفي بن عيسى، المرجع نفسه، ص ٨٩

٤٣. حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، ص ٩١

٤٤. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٨٩

٤٥. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٩١

٤٦. ابن خلدون، المقدمة ، ص ٥٩٢

٤٧. Thorndike.E.L , Human learning , p1

٤٨. المصدر نفسه، ص ٥٩٨

٤٩. محمد صاري، الفكر اللساني التربوي في التراث العربي مقدمة ابن خلدون نموذجاً الملتقى الوطني الثاني"الصوتيات بين التراث والحداثة،جامعة سعد دحلب،نيسان ٢٠٠٢ م ، ص ٩٣.

المصادر والمراجع

١. ابن خلدون ، عبدالرحمن ، (د. ت) ، **المقدمة تحقيق علي عبدالواحد**. القاهرة : بدون اسم الناشر .

٢. ابن خلدون، **المقدمة، ج ٢**، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ م .

٣. ابن خلدون، **المقدمة، ج ١**، دار الجيل، بيروت

٤. أبوحامد الغزالي،**إحياء علوم الدين** ،طبعة عيسى البابي الحلبي، ج ٣، القاهرة، ١٩٥٧ م .

٥. أبولاوي ، أمين . (١٩٩٩) . **أصول التربية الإسلامية.** الدمام . دار ابن الجوزي .

٦. الإبراشي ، محمد (١٣٩٥) . **التربية الإسلامية وفلاسفتها** . مصر : مطبعة الحلبي .

٧. الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ١، مصر ١٩٧٩ م .

٨. الخطيب ، محمد ومصطفى متولي ونور الدين عبدالجواد ومحروس غبان وفتحيةالفزاني . (١٩٩٥) . **أصول التربية الإسلامية** . الرياض : مكتبة الخريجي .

٩. الزركلي ، خير الدين . (د. ت). **الأعلام الجزء الرابع** . بدون اسم الناشر ومكان النشر .

١٠. السيد أحمد الهاشمي،**القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج"الألفية"لابن مالك وخلاصة الشراح لابن هشام وابن عقيل الأشموني**، دار الكتب العامة، بيروت.

١١. المسدي عبد السلام، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار التونسية للكتاب، ط ٢،تونس،١٩٨٦م .

١٢. النجيحي ، محمد . (١٩٦٧). **مقدمة في فلسفة التربية** . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

١٣. بشير ابرير،**الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة**،الملتقى الوطني الثاني"الصوتيات بين التراث

والحداثة،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سعد دحلب، البليدة، نيسان ٢٠٠٢ م .

١٤. جمانة البخاري، **التعلم عند الغزالي**، المؤسسة الوطنية للكتاب

١٥. حفيظة تازروتي، **اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري**، دار القصبة للنشر الجزائر، ٢٠٠٣ م .

١٦. حنفي بن عيسى، **محاضرات في علم النفس اللغوي**، المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعية، ط ٣، الجزائر .

١٧. خضر، فخري . (١٩٨٢) . **تطور الفكر التربوي** . دار الرشيد للنشر والتوزيع . بدون مكان النشر .

١٨. زياد ، مصطفى . (٢٠٠٢) . **الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره** . الرياض: مكتبة الرشد .

١٩. عاقل ، فاخر . (١٩٨٣) . **قاموس التربية** . بيروت : دار القلم .

٢٠. عبد الأمير شمس الدين، **الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق**، دار اقرأ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٢١. عبدالرحمن ، عائشة . (١٩٧٠) . **تراثنا بين ماضي وحاضر**. القاهرة : دار المعارف .

٢٢. عبود ، عبدالغني . (١٩٧٧) . **في التربية الإسلامية.** القاهرة : دار الفكر العربي .

٢٣. عبود ، عبدالغني . (١٩٧٨) . **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** . القاهرة : دار الفكر العربي .

٢٤. علي ، سعيد . (١٩٧٨) . **أصول التربية الإسلامية.** القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٥. علي ، سعيد ومحمد الحامد وعبد الراضي محمد . (٢٠٠٤) . **التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات** . الرياض : مكتبة الرشد .

٢٦. عنان ، محمد . (١٩٣٣) . **ابن خلدون حياته وتراثه الفكري** . القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية .

٢٧. محمد صاري، **الفكر اللساني التربوي في التراث العربي مقدمة ابن خلدون نموذجا**، الملتقى الوطني الثاني"الصوتيات بين التراث والحداثة،جامعة سعد دحلب،نيسان ٢٠٠٢ م .

٢٨. محمد فاروق النبهان، **الفكر الخلدوني من خلال المقدمة**، الرسالة للطباعة والنشر، ١٩٩٨ م .

٢٩. مرسي ، محمد . (د. ت) . **تاريخ التربية بين الشرق والغرب.** مصر : عالم الكتب .

30. Thorndike .E.L , **Humanlearning**, Princeton University Perss , N . J . 1986

Abstract

Each era of his thought is characterized and the philosophy of his life, and the early Muslims succeeded intellectually and educationally heritage should cherish, because it reflects the last image, and thus glows us through the present and the future, as far as Rjuana him and Aihaddena him, and take him to what is consistent with the current circumstances of contemporary and our issues, we unfortunately do not know only a few of our heritage out of ignorance, or the tradition of Western Educational

So we had and we are in the beginnings of atheist and the twentieth century to get back to our thinking and our heritage Arab-Islamic, and take advantage of it because the work for

the present and the future is not only by reference to the past and that "because of our present does not dispense with our past, and a thorough examination of the land on which the new construction"

As the educational thought in Islam based on the Koran and the Sunnah, it was the first school of Islam is seen Dar al-ArqamibnAbiArqam in Mecca, then had his mosque in the city is the second .

As the days pass and the changes appeared the Muslim community of scholars, scientists, writers, philosophers, and appeared with them the thought of an Islamic educational basis of the Koran and the Sunnah.

Of these, IbnKhaldun, who was known as a sociologist, but his educational views mentioned in his introduction, and this research will seek to identify these views and linking them with contemporary life.

Education is Islamic is derived from the Koran and Sunnah, and at the present time calls for Muslim education scientists to follow the words of Western scholars from non-Muslims, however, some opinions are good, but many of them are contrary to Islam, so shall we refer to the Koran and the Sunna and to the heritage of Islamic scholars to take advantage of it in contemporary solution of our issues, and in light of this research problem can be identified in the following question: What is the educational views of the IbnKhaldoun ?

And highlights the importance of research in that it seeks to identify the educational views of IbnKhaldun, and the impact of these views at the present time, and whether these views responsive to the needs of the Muslim community at the present time.